

مظلومية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

المدرس المساعد
رزاق جبار عبود القرشي
معهد التاريخ العربي والتراث العلمي

مظلومية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

المدرس المساعد
رزاق جبار عبود القرشي
معهد التاريخ العربي والتراث العلمي

المقدمة:

تأتي صفحات بحثنا هذا الذي بين أيديكم بشيء يسير حول حياة الصديقة الشهيذة المغصوب حقها الطاهرة المطهرة الأنسية الملكوتية أم أييها مولاتنا فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها أفضل الصلاة وأتم السلام ومن مختلف مصادر التأريخ المعتمدة وما تناقلته العامة والخاصة وما اجتمعت عليه وعلى صحته وموثوقيته آراء جحافل المؤرخين وعلى مختلف الأزمنة والأمكنة ويتلخص بحثنا بما يأتي:

أولاً: فصل في ذكر ولادتها سلام الله عليها.

ثانياً: فصل في ذكر مناقب السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها:

ثالثاً: فصل في ذكر زواج السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها:

رابعاً: فصل في ذكر مظلومية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام:

أولاً: فصل في ذكر ولادتها سلام الله عليها.

ولدت في جمادي الآخرة يوم العشرين منه سنة خمس وأربعين من مولد النبي ﷺ وكان بعد مبعثه بخمس سنين كما روي عن الصادقين عليهما السلام ^(١) بينا النبي ﷺ جالس بالأبطح ^(٢) ومعه عمار بن ياسر، والمنذر بن الضحاح، وأبو بكر، وعمر، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، والعباس والحمزة أولاد عبد

المطلب رحمه الله، إذ هبط عليه جبرائيل عليه السلام في صورته العظمى، قد نشر أجنحته حتى أخذت من المشرق إلى المغرب، فناداه: يا محمد، العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، وهو يأمرك أن تعتزل خديجة أربعين صباحاً، فشق ذلك على النبي ﷺ وكان محبا لها وبها وامقا^(٣)، قال: فأقام النبي ﷺ أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل، حتى إذا كان في آخر أيامه تلك بعث إلى خديجة بعمار بن ياسر وقال: قل لها: يا خديجة لا تظني أن انقطاعي عنك هجرة ولا قلى^(٤)، ولكن ربي عز وجل أمرني بذلك لينفذ أمره فلا تظني يا خديجة إلا خيراً، فإن الله عز وجل ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مراراً، فإذا جنك الليل فاجيئي الباب وخذي مضجعك من فراشك، فإني في منزل فاطمة بنت أسد رضي الله عنها^(٥). فجعلت خديجة تحزن لفقد رسول الله ﷺ، فلما كملت الأربعين هبط جبرائيل عليه السلام، فقال: يا محمد: العلي الأعلى يقرأك السلام، وهو يأمرك أن تتأهب لتحيته وتحفته، قال النبي ﷺ: يا جبرائيل وما تحفة رب العالمين؟ وما تحيته؟ قال: لا علم لي.

قال: فبينما النبي ﷺ كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس، أو قال: إستبرق، فوضعه بين يدي النبي ﷺ وأقبل جبرائيل عليه السلام على النبي ﷺ وقال: يا محمد يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام. فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يفطر أمرني أن أفتح الباب لمن يرد على الإفطار، فلما كان في تلك الليلة أقعدني النبي ﷺ على باب المنزل، وقال: يا ابن أبي طالب إنه طعام محرم إلا علي. قال علي عليه السلام: فجلست على الباب وخلا النبي ﷺ بالطعام، وكشف الطبق، فإذا عذق من رطب وعنقود من عنب، فأكل النبي ﷺ منه شبعاً، وشرب من الماء رياً، ومد يده للغسل فأفاض الماء عليه جبرائيل، وغسل يده ميكائيل، وتمنّله إسرافيل عليه السلام، فارتفع فاضل الطعام مع الإناء إلى السماء، ثم قام النبي ﷺ

ليصلي فأقبل عليه جبرائيل، فقال: الصلاة محرمة عليك في وقتك حتى تأتي إلى منزل خديجة فتواقعها، فإن الله عز وجل آلى على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذرية طيبة، فوثب رسول الله ﷺ إلى منزل خديجة. قالت خديجة رضوان الله عليها: وكنت قد ألفت الوحدة، فكان إذا جنني الليل غطيت رأسي، وأسجفت^(٦) سترتي وغلقت بابي وصليت وردي وأطفأت مصباحي وأويت إلى فراشي، فلما كان في تلك الليلة لم أكن بالنائمة ولا بالمتنبهة إذ جاء النبي ﷺ فقرع الباب، فناديت: من هذا الذي يقرع حلقة لا يقرعها إلا محمد ﷺ؟ قالت خديجة: فنادى النبي ﷺ بعذوبة كلامه وحلاوة منطقه: افتحي يا خديجة فإني محمد، قالت خديجة: فقممت فرحة مستبشرة بالنبي ﷺ، وفتحت الباب، ودخل النبي المنزل، وكان ﷺ إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهر للصلاة، ثم يقوم فيصلي ركعتين يوجز فيهما، ثم يأوي إلى فراشه، فلما كان في تلك الليلة لم يدع بالإناء ولم يتأهب للصلاة غير أنه اخذ بعضدي، وأقعطني على فراشه وداعبني ومازحني، وكان بيني وبينه ما يكون بين المرأة وبعملها، فلا والذي سمك السماء، وأنبع الماء، ما تباعد عني النبي ﷺ حتى حسست بثقل فاطمة عليها السلام في بطني^(٧).

فلما حملت خديجة بفاطمة عليها السلام، كانت فاطمة تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتُم ذلك عن الرسول ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ يوماً فسمع خديجة عليها السلام تحدث فاطمة عليها السلام، فقال لها: يا خديجة لمن تحدثين، قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني، قال: يا خديجة هذا جبرائيل يخبرني إنها أثى وإنها النسلة الطاهرة الميمونة، وإن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها الأئمة ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه.

فلم تزل خديجة على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء، فأرسلن

إليها، أنت عصيتنا ولم تقبلي قولنا وتزوجت محمداً ﷺ يتيم أبي طالب، فقيرا لا مال له، فلسنا نجىء ولا نلي من أمرك شيئاً.

فاغتمت خديجة لذلك فيينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم ففزعت منهن لما رأتهن، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة فإننا رسل ربك إليك ونحن أخواتك: أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلي منك ما يلي النساء فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها^(٨). فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق في شرق الأرض وغربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور، ودخل عشر من الحور العين، كل واحدة منهن معها طست من الجنة، وإبريق من الجنة، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاءتين أشد بياضا من اللبن، وأطيب ريحا من المسك والعنبر فلفتها بواحدة وقنعتها بالثانية، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين، وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وإن أبي رسول الله، سيد الأنبياء، وإن بعلي سيد الأوصياء وولدي سادة الأسباط، ثم سلمت عليهن وسمت كل واحدة منهن باسمها، وأقبلن يضحكن إليها.

وتباشرت الحور العين وبشر أهل السماء بعضهم بعضا بولادة فاطمة عليها السلام، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها فتناولتها فرحة مستبشرة وألقتها ثديها فدر عليها، فكانت فاطمة عليها السلام تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في الشهر وتنمو في الشهر كما ينمو الصبي في السنة^(٩).

ثانياً: فصل في ذكر مناقب السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها:

انفردت فاطمة الزهراء عليها السلام دون نساء العالمين بأنها من أهل الكساء والمباهلة وهاجرت في أحلك الظروف، وكانت فيمن نزلت فيهم آية التطهير، وافتخر جبرائيل عليه السلام بأنه منهم، وشهد الله له بالصدق، ولها أمومة الأئمة، وهي عقب الرسول ﷺ إلى يوم القيامة. وهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وأحد الركبان الأربعة يوم القيامة، ولها المصحف الذي كان عند الأئمة عليهم السلام، وكانت أشبه الناس كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ، تحكي شيمتها شيمته ولا تخرم مشيتها مشيته. وكانت إذا دخلت عليه رحب بها وقبل يديها وأجلسها في مجلسه، فإذا دخل عليها قامت إليه فرحبت به وقبلت يديه، وكان رسول الله ﷺ يكثر تقبيلها وإذا اشتاق إلى رائحة الجنة يشم رائحتها، وكان يقول: (فاطمة بضعة مني، من سرها فقد سرني، ومن ساءها فقد ساءني، فاطمة أعز الناس إلي).

لها عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل كما قال الامام الصادق عليه السلام وهي: (فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدثه، والزهراء)^(١٠).

عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: يا فاطمة أتدريين لماذا سميت فاطمة؟ قال علي عليه السلام: لم سميت؟، قال رسول الله ﷺ: لأنها فطمت هي وشيعتها من النار.

قال الامام الصادق عليه السلام أتدرون أي شيء فاطمة؟ قلت أخبرني يا سيدي. قال: فطمت من الشر. ثم قال: لولا ان أمير المؤمنين تزوجها لما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فمن دونه^(١١).

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن جابر بن عبد الله

الأنصاري عن رسول الله ﷺ: لما خلق الله آدم وحواء تبخترا في الجنة وقالوا: من أحسن منا؟ فبينما هما كذلك. إذ هما بصورة جارية لم ير مثلها، لها نور شعشعاني يكاد يطفئ الأبصار. قالوا يا رب ما هذه؟ قال: صورة فاطمة سيدة نساء ولدك، قال: ما هذا التاج على رأسها. قال: علي بعلها. قال: فما القرطان، قال: ابناها، وجد ذلك في غامض علمي قبل أن اخلقك بألفي عام^(١٢).

ثالثاً: فصل في ذكر زواج السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها:

لقد بلغت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من العمر تسع سنوات وكانت تمتاز بالنضج الفكري والرشد العقلي المبكر ولقد وهبها الله لها الذهن الوقاد واعطاها الذكاء وافر الحظ بنصيب من الحس والجمال والملاحة فمواهبها كثيرة وفوق العادة وفضائلها الموروثة والمكتسبة فاقت كل أنثى وأما ثقافتها الدينية والأدبية فيكفيها انها بنت رسول الله محمد ﷺ فحازت على الثقافة والعلم والأدب وهي معلّمة غير معلّمة لأن مدرسة النبوة وكلية الوحي والرسالة ربتها كما كانت فقد خطبها مشاهير الصحابة وكان النبي ﷺ يقول: أمرها الى ربها، إن شاء أن يزوجه زوجها، فخطبها سادات المهاجرين والأنصار وخطبها أبو بكر وعمر فقال النبي ﷺ: إنها صغيرة وإني أنتظر بها القضاء وخطبها عبد الرحمن بن عوف، فلم يجبه النبي ﷺ بل أعرض عنه^(١٣).

وقد روى علي بن المتقي^(١٤)، عن أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وإني وإني... قال: وما ذاك؟ قال: تزوجني فاطمة. فسكت وأعرض عنه، فرجع أبو بكر إلى عمر فقال: هلكت وأهلكت. قال: وما ذاك قال: خطبت فاطمة الى النبي ﷺ فأعرض عني، قال عمر: مكانك حتى آتي النبي فأطلب منه مثل الذي طلبت. فأتى عمر النبي ﷺ فقعد بين يديه فقال: يا

رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وإني وإني... قال: وما ذاك؟ قال: تزوجني فاطمة. فأعرض عنه، فرجع عمر إلى أبي بكر فقال: إنه ينتظر أمر الله فيها؛ ولعل النبي ﷺ ما كان يحب أن يصارحهم بأنه يدّخرها لكفوها وما أحب أن يصارحهم بأنهم ليسوا بكفء لها أو يفاجئهم بأن مستوى ابنته فوق المستويات.

وكان الامام علي عليه السلام قد نزل في بيت سعد بن معاذ منذ وصوله الى المدينة فجاء اليه سعد وقال له: ما يمنعك أن تخطب فاطمة من ابن عمك؟ وقال عمر لعلي عليه السلام: ما يمنعك من فاطمة؟ فقال: أخشى أن لا يزوجني! قال: فإن لم يزوجك فمن يزوج؟ وأنت أقرب خلق الله إليه.

إن علياً عليه السلام لم يذكر فاطمة عليها السلام طيلة حياته لأي أحد، ولم يذكر رغبته حياءً من رسول الله ﷺ ثم ظروفه الاقتصادية يوم ذاك كانت قاسية جداً، فما كان يملك من حطام الدنيا أموالاً ولا داراً ولا عقاراً، فكيف وأين يتزوج ويسكن وليست السيدة الزهراء بالمرأة التي يستهان بها في زواجها؛ فقد جاء الإسلام ليفتح الأغلال والتقاليد التي حبست على الناس سنة الزواج وشددت عليهم ضروريات الفطرة ولوازم استمرارية نظام البقاء والحياة الزوجية وبعداً للتعصب القبلي والعنصري الذي أشرف على الزواج بفضل الإسلام والرسول الكريم ذلك القدوة الحسنة الذي حارب تقاليد الجاهلية وعادات الكفر باللسان واليد قولاً وفعلًا^(١٥).

فقد أتاه علي عليه السلام يخطب منه ابنته فاطمة، والنبي ﷺ له الولاية العامة على المسلمين والمسلمات، وعلى ابنته ومن عداها ولكنه ﷺ حفظ لفاطمة كرامتها ولم يعلن موافقته للزواج قبل استئذنها، وبهذا أعلن انه لا بد من موافقة البنت لأنها هي التي تريد أن تعيش مع زوجها ويكونا شريكين في الحياة^(١٦).

فقال الرسول ﷺ يا علي قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها ولكن على رسلك حتى أخرج إليك.

قام الرسول ﷺ وترك علياً جالساً ينتظر النتيجة، ودخل على ابنته فاطمة وأخبرها بأن علياً جاء يطلب يدها، وعلي أعرف من أن يعرف، وفاطمة تعرف علياً وسوابقه ومواهبه وفضائله، وقال الرسول ﷺ: إني قد سألت ربي أن يزوجك خير خلقه، وأحبهم إليه، وقد ذكر عن أمرك شيئاً فماذا ترين؟ فسكتت ولم تولي وجهها، ولم يرَ فيها رسول الله ﷺ كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر! سكوتها إقرارها.

عدّ الرسول ﷺ سكوتها موافقة إذ لا ينتظر من الفتاة البكر أن تصرخ بموافقتها لحياثها، ورجع النبي ﷺ إلى علي عليه السلام وهو ينتظر، وأخبره بالموافقة، وسأله عن مدى استعداده لاتخاذ التدابير اللازمة لهذا الشأن، إذ لا بد من الصداق شرعاً وعرفاً.

فقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: هل معك شيء أزوجك به؟

فقال علي عليه السلام: فداك أبي وأمي! والله لا يخفى عليك من أمري شيء، أملك سيفي ودرعي وناضحي^(١٧).

تلقي الرسول كلامه برحابة صدر، وقال: يا علي! أما سيفك فلا غنى بك عنه، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك، ولكني قد زوجتك بالدرع ورضيت بها منك، بع الدرع واثنتي بالثمن، حيث أصابها علي عليه السلام من مغنم غزوة بدر^(١٨)، وكانت تسمى الحطيمة لأنها كانت تحطم السيوف وتكسرهما.

زوج رسول الله ﷺ ابنته الطاهرة من علي بن أبي طالب عليه السلام بهذه البساطة والسهولة ليفكك أغلال التقاليد التي قيد الناس بها أنفسهم.

هذا هو رسول الله ﷺ الشخص الضرورة المثالي الذي منزلته في الربى كان

درباً للناس على طول الزمن ليكون للناس قدوة، فزوج هذه الإنسانية المثالية ثمينة المنبت بأقل مهر قدمه سيد الأوصياء وأبو الأئمة المعصومين عليهم السلام عسى أن يكون هاجساً للمتمسكين بالأعراف البالية والتي لا تعود على الفتيان إلا بالحرمان.

وزوج ابنته الصديقة الطاهرة بمهر قليل لا يتناسب وشخصية فاطمة الزهراء عليها السلام كي لا تستكف الفتاة المسلمة أن تتزوج بمهر قليل.

فقد زوج الله فاطمة عليها السلام من علي بن أبي طالب عليه السلام قبل أن يزوجها من علي بن أبي طالب، وليس ذلك بغريب، فقد زوج الله من هي دونها بمراتب كثيرة، فقد زوج زينب بنت جحش من رسول الله بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي هَيْكَلٍ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (١٩).

أليس الله قد زوج رسوله امرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي ﷺ حتى قال جبرائيل عن الله تعالى: الحمد ردائي، والعظمة كبريائي، والخلق كلهم عبيدي وامائي، زوجت فاطمة أمتي من علي صفوتي اشهدوا يا ملائكتي (٢٠).

من الطبيعي ان زواج علي عليه السلام من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كان سبب هياج الأحقاد والعداء حيث ان البعض خطب فاطمة عليها السلام من أبيها ﷺ فرفض طلبه وأعرض عنه، حيث قال من قال: إنك زوجت علياً بمهر خسيس فقال لهم: ما أنا زوجت علياً، ولكن الله زوجه ليلة أسري بي عند سدرة المنتهى (٢١).

وعندما استكمل شراء المتاع عرض على رسول الله ﷺ في غرفة أم سلمة، فرفع رسول الله ﷺ رأسه الى السماء وقال: اللهم بارك لقوم جل أنيتهم الخزف.

إن السعادة الزوجية لا تتم عن طريق السرف والبذخ والترف والملابس والأحجار والتنوير والتبريد، فكم من امرأة ترفل في الثياب والمخشلات التي تثقل معاصمها ولكنها تشعر في جحيم وشقية في دنياها لا تعرف للسعادة طعم، وكم من امرأة تعيش وترفل في السعادة وهي في بيت بسيط مبني من أعواد النخيل وقوائمه من الخشب وكان ذلك البيت هو جنة الدنيا تتغنى مع أطفالها بسعادة.

ولا ننسى إن هناك الكم الشاسع من شبابنا الفتيان والفتيات راحوا ضحية الثراء والقصور وشروط الوالدين على الشاب التي لا يستطيع اقتحامها حتى تبقى هذه الشريحة تتضور نهماً وجوعاً لهذا المطلب الإنساني الذي حطم أسواره سيد الأنبياء محمد ﷺ وابنته الصديقة فاطمة الزهراء ذلك الموقف الذي نصته السماء: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢٢).

ولكننا لم نجد أذنًا صاغية لذلك حتى يصدق علينا القول بأننا أخذنا هذه السنة من رسول كريم صادق وأنقذنا شريحة الشباب من أنياب العوز المتقع وفتحنا لهم باب السعادة والعون حتى تثبت لهم أظافر يستطيعون من خلالها أن يضيئوا أقدامهم في سلم السعادة وأن يبنوا لهم عشاً حلواً يسمى عش الزوجية كما بناه سيد الأوصياء الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد زواجهما وأنجبا الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة، وكانت عليها السلام أم الأئمة الطاهرين عليهم السلام إلى يوم القيامة، ولقد اشترك أهل السماء مع أهل الأرض في زفاف الأنسية الحوراء عليها السلام (٢٣).

ولما زفت الصديقة عليها السلام إلى بيت علي عليه السلام، كان النبي ﷺ قدامها،

وجبرائيل عليه السلام عن يمينها، وميكائيل عليه السلام عن يسارها، وسبعون ألف ملك خلفها يسبحون الله ويقدمونه حتى طلع الفجر، ثم أنفذ رسول الله ﷺ إلى علي عليه السلام ودعاه ثم دعا فاطمة عليها السلام، فأخذ يدها ووضعها بيد علي عليه السلام وقال: بارك الله في ابنة رسول الله. يا علي! هذه وديعتي عندك!، يا علي نعم الزوجة فاطمة!، ويا فاطمة نعم البعل علي!!.

اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في سبيلهما، اللهم إنهما أحب خلقك إلي فأحبهما، واجعل عليهما منك حافظاً، وإنني أعيدهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم.

رابعاً: فصل في ذكر مظلومية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام:

روى الخزاز^(٢٤) عن عمار بن ياسر قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة دعا بعلي عليه السلام فساره كثيراً ثم قال يا علي: أنت وصيي ووارثي قد أعطاك الله علمي وفهمي، فإذا متْ ظهرت لك ضغائن في صدور قوم وغصب على حقد! فبكت فاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام، فقال يا فاطمة مم بكاءك؟ قالت: يا أبة أخشى الضيعة بعدك!، قال: أبشري يا فاطمة فإنك أول من يلحقني من أهل بيتي، ولا تبكي ولا تحزني فإنك سيدة نساء أهل الجنة، ومن صلب الحسين يخرج الله الأئمة التسعة، مطهرون معصومون، ومنا مهدي هذه الأمة^(٢٥)، وزوجك خير أمتي، وخير أهل بيتي، أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً، فاستبشرت وفرحت فاطمة عليها السلام بما قال لها رسول الله ﷺ ^(٢٦).

١- أكذوبة التاريخ في حق علي عليه السلام:

أما في إثارة الفتن والمشاغبات كما هو شأن المفسدين الذين تتكون عندهم عقدة الحقد النفسية بسبب فشلهم في الحياة فإنهم أشاعوا وان علياً قد خطب

ابنة أبي جهل. ووصل الخبر الى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إن زوجها قد خطب بنت رئيس المشركين وقطب الكافرين أبي جهل، فتأثرت السيدة فاطمة وذهبت إلى حجرة أبيها الرسول ﷺ وظهرت الحقيقة بعدما انكشف الأمر واتضحت الحقيقة.

يوم بكى أبوها ﷺ لظلامتها عليها السلام ... وبكت لفقده ﷺ:

عن عبد الله بن عباس ^(٢٧) قال: لما حضرت الرسول ﷺ الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته ف قيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال أبكي لذريتي، وما تصنع بهم شرار أمتي من بعدي! كأني بفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي فسمعت ذلك فاطمة فبكت فقال لها رسول الله ﷺ لم تبكين يا بنية؟ فقالت لست أبكي لما يصنع بي من بعدك ولكن أبكي لفراقك يا رسول الله! فقال لها: أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي، فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي ^(٢٨).

٢- يوم واجهت المهاجمين لدارها عليها السلام:

خاطبت السيدة فاطمة عليها السلام المهاجمين من وراء باب الدار فقالت: تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا وقطعتم أركانكم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقاً! ولما كرروا تهديدهم بإحراق الدار صاحت يا رسول الله ماذا لقينا من ابن أبي قحافة وابن الخطاب بعدك! يا عمر جئت لتحرق علينا دارنا! ثم تفاقم الأمر وأشعلوا النار بالباب ودفعوه والزهراء عليها السلام خلفه ^(٢٩) (نقله الطبري، والجوهري، والقتيبي، والسيوطي، وابن عبد ربه، والواقدي)، فأتى عمر بن الخطاب ومعه خالد بن الوليد بأمر أبي بكر إلى بيت فاطمة وفيه علي والزبير وغيرهما فدقوا الباب وناداهم عمر، فأبوا أن يخرجوا، فلما سمعت فاطمة نادت بأعلى صوتها باكية يا أبتاه يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن

الخطاب وابن أبي قحافة، فدعا عمر بالخطب، وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها عليكم فليل له: إن فيها فاطمة، قال: وإن!! فقالت له فاطمة: يا بن الخطاب أجئتنا لتحرق دارنا؟ قال نعم أو تدخلوا ما دخلت فيه الأمة^(٣٠).

وقد نقل النظام^(٣١) إن عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام حتى ألقت المحسن من بطنها وبعد أن دفع باب البيت.

٣- يوم أخذوا عليا عليه السلام فخرجت عليها السلام خلفه ل تمنعهم من قتله:

لما أخرج بعلي عليه السلام خرجت فاطمة عليها السلام واضعة قميص رسول الله ﷺ على رأسها، آخذه بيدي ابنها فقالت: مالي ومالك يا أبا بكر، تريد أن تؤتم ابني وترملني من زوجي، والله لولا أن تكون سيئة لنشرت شعري ولصرخت إلى ربي! ^(٣٢)، فخرجت وأخذت بيد الحسن والحسين متوجهة إلى القبر! فقال علي لسلمان: يا سلمان أدرك ابنة محمد.. الخ. وقالت عليها السلام: ما صالح أكرم على الله من أبي، ولا الناقة بأكرم مني، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدي! قال سلمان رضي الله عنه: كنت قريباً منها، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله ﷺ تقلعت من أسفلها، حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ، فقلت لها: يا سيدتي ومولاتي إن الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة، فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها، فدخلت في خياشيمنا^(٣٣).

٤- يوم دارت مع علي عليه السلام على زعماء الأنصار وأقامت عليهم الحجة:

انتهت إلى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ بن جبل: إني قد جئتكم مستنصرة وقد بايعت رسول الله ﷺ على أن تنصروه وذريته وتمنعه مما تمنع منه نفسك وذريتك، وأن أبا بكر قد غصبني على فدك وأخرج وكيلي منها! قال: فمعي

غيري؟ قالت: لا، ما أجايني أحد. قال: فأين أبلغ أنا من نصرتك؟ قال: فخرجت من عنده ^(٣٤).

وخرج علي عليه السلام يحمل فاطمة عليها السلام على دابة ليلا في مجالس الأنصار تسألهم النصر، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي عليه السلام: أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟!.

قالت فاطمة عليها السلام ^(٣٥): لما منعت فذك وخاطبت الأنصار، فقالوا: يا بنت محمد لو سمعنا هذا الكلام منك قبل بيعتنا لأبي بكر ما عدلنا بعلي أحدا، فقالت: وهل ترك أبي يوم غدیر خم لأحد عذرا!.

٥- يوم أقامت مجالس العزاء والبكاء على النبي ﷺ وأصرت عليها:

فلما دفن النبي ﷺ قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب!، فقد أخذت قبضة من تراب النبي ﷺ فوضعتها على عينيها ثم قالت:

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليها
صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليها ^(٣٦)

وكانت تقيم مجالس العزاء عند قبر النبي ﷺ، وفي بيتها، وفي البقيع، مع نساء الأنصار والمهاجرين، ومن الطبيعي أن يكون لهذه المجالس دور اجتماعي وسياسي في ذلك الظرف الحساس، الذي حدث فيه بيعة السقيفة، والتي خالفها بنو هاشم، ومهاجمة الطلقاء بيت فاطمة وعلي عليهما السلام وإجباره على البيعة، وبعد بيعة أبي بكر جعل الحزب القرشي السقيفة مركز نشاطهم، ثم جعلوا مسجد النبي ﷺ مركزهم الآخر! وشددوا إجراءاتهم حول المسجد

النبي الشريف والقبر الشريف، فقد كان خوف السلطة القرشية الجديدة من مجالس الندب التي تقيمها فاطمة عليها السلام، أن توظفها لتأليب الأنصار وبعض المهاجرين ضد بيعة أبي بكر. وأن تستجير فاطمة بقبر النبي صلى الله عليه وآله كما هي عادة العرب، لأن الإستجارة عندهم تفرض إجابة المستجار لطلب المستجير^(٣٧).

٦- يوم جاء أبو بكر وعمر لزيارتها ليعتذرا منها عليها السلام:

أراد أبو بكر وعمر الاعتذار من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وتوسط لهما علي عليه السلام ودخلا فلم ترد عليها السلام وأدارت وجهها إلى الحائط، فقالا: ارضي عنا رضي الله عنك. فقالت: ما دعاكما إلى هذا؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة، ورجونا أن تعفي عنا وتخرجي سخيمنتك، فقالت: اللهم إني أشهدك فاشهدوا يا من حضرنى أنهما قد آذيانى فى حياتى وعند موتى!، والله لا أكلمكما من رأسى كلمة حتى ألقى ربي فأشكوكما بما صنعتما بى واركتبما منى!، وإنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي صلى الله عليه وآله لأشكونكما إليه، فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة! ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعون عليك في كل صلاة أصليها. ثم خرج باكيا فاجتمع الناس إليه فقال لهم: يبيت كل رجل معانقا حليلته مسرورا بأهله وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي.^(٣٨)

٧- وفاة فاطمة الزهراء عليها السلام:

عن علي عليه السلام قال: لما حضرت فاطمة عليها السلام الوفاة دعتنى فقالت: (إذا أنا مت فادفني ليلا، ولا تؤذنن رجلين، ذكرتهما)^(٣٩)، فقبضت فاطمة عليها السلام فارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما كان الليل دعا علي عليه السلام العباس والفضل والمقداد وسلمان وأبا ذر وعماراً، فصلى عليها العباس

ودفنوها. فلما أصبح الناس أقبل أبو بكر وعمر والناس يريدون الصلاة على فاطمة عليها السلام فقال المقداد: قد دفنا فاطمة البارحة، فالتفت عمر إلى أبي بكر، فقال عمر: والله لا تتركون يا بني هاشم حسدكم القديم لنا أبدا! إن هذه الضغائن التي في صدوركم لن تذهب والله لقد هممت أن أنبشها وأصلي عليها! فقال علي عليه السلام: والله لو رمت ذلك يا بن صهاك لا رجعت إليك يمينك! والله لئن سللت سيفي لا أغمدته دون إزهاق نفسك، فرم ذلك! فانكسر عمر وسكت، وعلم أن عليا إذا حلف صدق^(٤٠)، فحول علي عليه السلام وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله مني، والسلام عليك من ابنتك وحببتك وقرة عينك وزائرتك، والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار لها الله سرعة اللحاق بك، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري، وضعف عن سيدة النساء تجلدي، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

هوامش البحث

- (١) دلائل الإمامة: ص ١٠؛ والكافي، ج ١، ص ٤٥٧.
- (٢) الأبطح: مسيل واسع فيه دقائق الحصى (انظر الصحاح: مادة (بطح) ج ١، ص ٣٥٦).
- (٣) الوامق: الحب (انظر لسان العرب: مادة (ومق) ج ١٥، ص ٤٠٩).
- (٤) القلى: البغض (انظر تهذيب اللغة: مادة (قلا) ج ٩، ص ٢٩٥).
- (٥) أجفت الباب: رددته (الصحاح: مادة (جوف) ج ٤، ص ١٣٣٩).
- (٦) اسجفت الستر: أرسلته (انظر الصحاح: مادة (سجف) ج ٤، ص ١٣٧١).
- (٧) المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٧٨؛ محمد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد الى اللحد، ص ٣٣، ٣٤، ٣٥.
- (٨) في المصدر (فأرسلنا)، بدل (فانا رسل).
- (٩) الصدوق، الامالي، ج ١، ص ٤٧٥.
- (١٠) المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠، محمد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد الى اللحد، ص ٤٥.
- (١١) وقد روى هذا الحديث من علماء العامة:

ابن شيرويه الديلمي عن ام سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: لو لم يخلق الله عليا لما كان لفاطمة كفؤ. رواه الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام، ص ٦٥؛ والترمذي في المناقب؛ والمنائوي في كنوز الحقائق؛ والقندوزي في ينابيع المودة، عن مسلمة والعباس عم النبي ﷺ.

- (١٢) العسقلاني، لسان الميزان، ج ٣، ص ٣٤٦.
- (١٣) فضائل بن حنبل، والنسائي في الخصائص، ص ٣١؛ ابن الجوزي، التذكرة، ص ٣١٦.
- (١٤) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٢، ص ٩٩.
- (١٥) محمد تقي القزويني، فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد، ص ١١٣.
- (١٦) م. ن. ص ١١٣.
- (١٧) الناضح: البعير الذي يحمل عليه الماء.
- (١٨) العسقلاني، الإصابة، ج ٤، ص ٣٦٥.
- (١٩) الأحزاب، الآية (٣٧).
- (٢٠) المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠.
- (٢١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق.
- (٢٢) الحشر، الآية (٧).
- (٢٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٧؛ الحموي، درر السمطين؛ الذهبي، ميزان الاعتدال؛ العسقلاني، لسان الميزان؛ القرمانلي، أخبار الدول؛ القندوزي، ينابيع المودة.
- (٢٤) الخزاز: كفاية الأثر، ص ١٢٤.
- (٢٥) الصدوق: كمال الدين، ص ٦٢٢.
- (٢٦) القاضي النعمان: شرح الأخبار، ج ١، ص ١٢٢.
- (٢٧) الشيخ الطوسي: الأمالي، ص ١٨٨.
- (٢٨) الشيخ علي الكوراني العاملي: جواهر التاريخ.
- (٢٩) جعفر مرتضى، مأساة الزهراء عليها السلام، ج ٢، ص ٩٦.
- (٣٠) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ١٢.
- (٣١) الشهرستاني، الملل والتحل.
- (٣٢) الكليني، الكافي، ج ٨، ص ٢٣٧.
- (٣٣) الطبرسي، الإحتجاج، ج ١، ص ١١٣.
- (٣٤) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٤، ص ٣٢٨، ابن قتيبة؛ الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٩.
- (٣٥) الصدوق، الخصال، ص ١٧٣.
- (٣٦) احمد بن حنبل، المسند، ج ٢، ص ٤٨٩.
- (٣٧) اللباني، احكام الجنائز، ص ٢١٩.
- (٣٨) معاني الأخبار، ص ٣٥٦.

- (٣٩) كتاب سليم بن قيس، ص ٣٩٢.
- (٤٠) علل الشرائع: ج ١، ص ١٨٧؛ الغدير، ج ٧، ص ٢٢٨؛ الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٤؛ الجاحظ، اعلام النساء، ج ٣، ص ١٢١٤؛ البخاري، الصحيح، ج ٤، ص ٢١٠.

قائمة المصادر والمراجع

- احمد بن حنبل: المسند
- ابن الجوزي: تذكرة الخواص
- ابن حنبل: الفضائل
- ابن قتيبة: الإمامة والسياسة
- ابن عبد ربه: العقد الفريد
- جعفر مرتضى: مأساة الزهراء
- الألباني: أحكام الجنائز
- الحاكم النيسابوري: المستدرک
- الحموي: درر السمطين
- الخزاز: كفاية الأثر
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد
- الذهبي: ميزان الاعتدال
- الشيخ الطوسي: الأمالي
- الشهرستاني: الملل والنحل
- الشيخ الصدوق: من لا يحضره الفقيه
- الشيخ علي الكوراني: جواهر التاريخ
- الترمذي: المناقب
- الصدوق: الأمالي، الخصال، علل الشرائع
- الطبري: دلائل الإمامة

- الطبرسي: الإحتجاج
- العسقلاني: لسان الميزان، الإصابة
- الكليني: الكافي
- القرمانلي: أخبار الدول
- القاضي النعمان: شرح الأخبار
- القندوزي: ينابيع المودة
- المفيد: الأمالي
- المجلسي: بحار الأنوار
- المناوي: كنوز الحقائق
- المتقي الهندي: كنز العمال
- محمد تقي القزويني: فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد
- النسائي: الخصائص.